مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

أوراق ثقافية

الإعلام العربيّ والثّقافة في زمن الشّتات المعرفيّ

ماجدة داغر

اغسطس – 2024

تسودُ العالمَ اليوم ظواهرُ مستحدَثة تندرج ضمن الأُطُرِ المعرفيّةِ الحديثة. ظواهرُ تَرفدُ الفكرَ الإنسانيّ بمنظومةٍ قِيَميّةٍ جديدة قوامُها التطوّر التكنولوجيّ غير المسبوق، والبناءُ الحديث للعمارةِ الإنسانيّة بتجليّاتها الثقافيّةِ، والمعرفيّةِ، والرّوحيّة، والمُجتمعيّة. هذه المنظومةُ الهجينة ابتكرتْ خطوطاً مختلفةً للملامح البشريّة بما لا يتناسق مع الإرثِ الثّقافيّ والتاريخيّ لإنسانِ العصرِ الحديث، ولا نُغالي إذا قُلنا إنّها نقيضُ الذّاكرةِ البشريّة ومخزونِها الإنسانيّ والقِيَميّ المُمتدّ طيلةَ عصور.

> تَتلبّسُ العالمَ العربيّ اليوم حالةٌ من الشّتاتِ المعرفيّ بين تَبعثُرِ الأفكار والقِيَم نتيجة التّأثيرات والتّبعيّات الثّقافية والتغيّرات المتسارعة

لا شكّ أنّ العالمَ العربيَّ هو الأشدّ تأثّرًا بهذه الظّواهر لأنّ مجتمعاته قائمة على الاستهلاكِ والتّقليد، ممّا يجعلها من بين أكثر المجتمعات تلقّيًا واجترارًا وتَماثُلًا وتقليدًا مبتعدةً عن دورِها الرّياديّ التّاريخيّ في الابتكارِ وإعادةِ تشكيلِ المشهدِ والإنتاجِ والإنجازِ والإبداع، مُنْجَرّةً بذلك إلى فكرةِ القطيع والصور النمطية ذات السِّمات المتشابهة، والتي يَغزوها تَنميطُ الفكرِ وغيابُ الأفكار وتهميشُ القضايا الكبرى.

ظواهرُ ما بعد الحداثة بما تتضمّنُه هذه المفردة من فلسفةٍ نقديّةٍ تجاه العلاقةِ الحديثةِ بالحقيقة، وادّعاء "السّرديّاتِ الكبرى" بتلخيصِ التّاريخِ

البشريّ، تَغيبُ في شكلٍ منهجيٍّ عن المشهدِ الثّقافيّ الرّكيك والمتفكّك والتّائه في سّراديب ما بعد حداثيّة في صورتِها الراهنة والمُشوّهة.

وبذلك تَتلبّسُ العالمَ العربيّ اليوم حالةٌ من الشّتاتِ المعرفيّ بين تَبعثُرِ الأفكاروالقِيَم نتيجة التّأثيرات والتّبعيّات الثّقافية والتغيّرات المتسارعة، ما يُسلّط الضوءَ على "الماكينات" التي تتلقّف هذه التّأثيرات، وهي من تمتلكُ الأدواتِ الأهمّ لِبَثّها ونشرِها والتّرويجِ لها، وربّما هي الأقوى على مستوى قيادة العالم من خلال المنصّاتِ والمنابر والصّفحات، فهي من دون منازع السّلطة الأفعل، أي السّلطة الرّابعة الّتي تبقى الأكثرَ سيطرةً على الخطاب بجميع أشكالِه وأبعادِه وأهدافِه وتجليّاته، ما يعزّز قول الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو (1926-1984): "إنّ الأقوى هو مَن يُسيطرُ على الخطاب"

والارتباطُ الوثيق بين الإعلام والثّقافة تُفسّره الطبيعةُ الجدليّة بينهما دون الرُّكون إلى إشكاليّةِ تَغلُّبِ أحدهما على الآخر، باعتبارهما أبرز وَجهَين للنّشاط الاجتماعيّ و"أعمقهما تعبيرًا عن الصّيرورة الاجتماعيّة، حيث يكاد التاريخ للحضارة الإنسانيّة يقوم على المتغيّر الثّقافي والمتغيّر الإعلاميّ".

هذه التوأمةُ الحضاريّة شهدَتْها المجتمعاتُ العربيّة، وكرّسَتها في بُناها التّحتيّة الثّقافية والاجتماعيّة في العقود الماضية، إذ ساهمَ الإعلامُ في نقل الثّقافة إلى الجماعة والتّعريف بالتّراث المادّي واللامادّيّ مؤدّيًا دورًا محوريًّا في الحفاظ على هذه الثّروة الإنسانيّة والفكريّة، وبالإضافة إلى رسالته السّامية في تحفيز أسئلة الإبداع وهموم المعرفة وإشكالية الحضارة، فإنّ الإعلامَ الثقافيّ أدّى دورًا رياديًّا في تشكيل الوعي وتوجيه الرّأي العام، إزاء قضايا الفكر والإبداع والثّقافة، كما أسهم في تطوّر

"

يكاد التاريخ للحضارة الإنسانيّة يقوم على المتغيّر الثّقافي والمتغيّر الإعلاميّ

الفكر النقديّ في رقيٍّ حضاريٍّ وإنسانيّ مشهود له في الحقبة المنصرمة، وذلك قُبيل الغزو الثّقافي الذي تمكّن من تغيير المشهد، وإرساء إطارٍ ثقافيّ إعلاميّ دخيل في معظمه على البُنية المجتمعيّة والإنسانيّة العربيّة

الأمثلةُ التّاريخية للإعلام الثّقافيّ النّاجح في تعزيز المعرفة والوعي عرفَها الإعلامُ الثقافيّ العربيّ في منتصف القرن الماضي، في أحد أبرز وجوهه ازدهاراً وألقًا عبر انفتاحه على ثقافات العالم من خلال صحفه وشاشاته ومنابره التي كانت في معظمها ضنينةً على المستوى الثقافيّ الذي يفرضه قانون الإعلام في بعض دُولها من خلال توسيع الهامش الثقافيّ على صفحاتها ومنابرها، بل والأهم، عبر القائمين على هذه المؤسّسات الإعلاميّة الذين كانوا في غالبيّتهم أدباء كبارًا وشعراء ومفكّرين

ويعد لبنان أنموذجًا بقاماته الإعلاميّة الأدبيّة الكبيرة التي ترأست تحرير كبرى الصّحف والمجلّات، وأسّست دُوراً وصحفًا، منها مؤسّس دار ومجلة "المكشوف" الصّحافي فؤاد حبيش والإرث الأدبي الذي أظهرته الدار من خلال نشر مؤلّفاتٍ لكبار الأدباء والشّعراء مثل الياس أبو شبكة، مارون عبود، ميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي وغيرهم، وأسماء أدبيّة أخرى ارتقت بالمشهد الإعلامي آنذاك، كالشّعراء سعيد عقل، وأنسي الحاج

> أدى الإعلامَ الثقافيّ دورًا رياديًّا في تشكيل الوعي وتوجيه الرّأي العام إزاء قضايا الفكر والإبداع والثّقافة، كما أسهم في تطوّر الفكر النقديّ في الحقبة المنصرمة

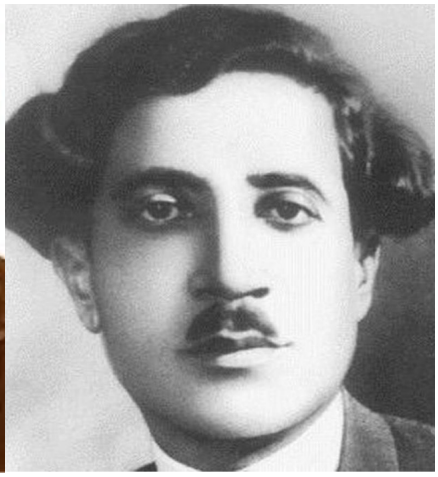
إلياس أبو شبكة

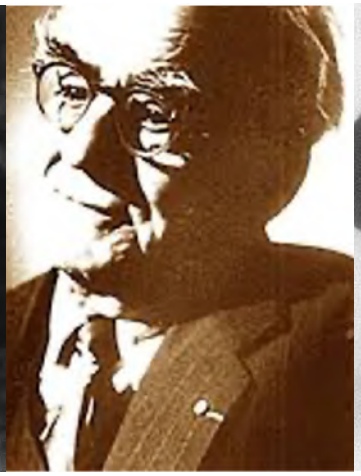
مارون عبود

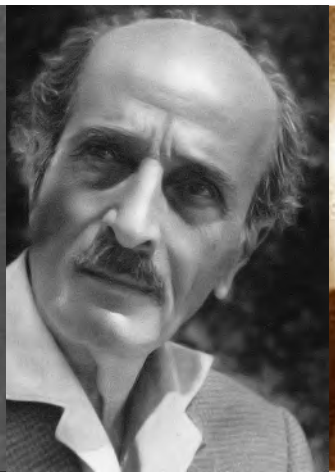
ميخائيل نعيمة

إيليا أبو ماضي

(جريدة النّهار)، وعباس بيضون (جريدة السّفير)، وبول شاوول (النّهار والسّفير)، وغيرهم من قامات فكريّة وظّفت طاقاتها الإبداعيّة في المنابر الإعلاميّة والصّحافيّة

وامتدّت هذه الموجة الحضاريّة إلى زمنٍ قريب عبر قنوات عربيّة قدمت برامج وثائقيّة وثقافيّة ساهمت في نشر المعرفة والتّراث العربي في العالم، فضلاً عن المجلّات الثّقافيّة والأدبيّة التي كانت تمثّل أبهى صورة للإعلام الثقافيّ الذي ألهَم عصرًا بكامله وأسهمَ في نشر الأدب والفكر العربيَّين، ونذكر منها: "شِعر"، "الآداب"، و"النّاقد" اللبنانيّة، و"العربي" الكويتيّة، و"فصول" المصريّة، و"نزوى" العمانيّة، و"المجلّة العربيّة" السّعوديّة، وغيرها.

امتدّت هذه الموجة الحضاريّة إلى زمنٍ قريب عبر قنوات عربيّة قدمت برامج وثائقيّة وثقافيّة ساهمت في نشر المعرفة والتّراث العربي في العالم، فضلاً عن المجلّات الثّقافيّة والأدبيّة التي كانت تمثّل أبهى صورة للإعلام الثقافيّ

سعيد عقل | أنسي الحاج | عباس بيضون | بول شاوول

وكان الفضل لهؤلاء بالارتقاء بالصّحافة والإعلام إلى قمّة الوعي الحضاريّ، عبر تكريس هذه المنابر للقضايا الثقافيّة الكبرى التي باتت غائبة اليوم عن الكثير من الإعلام العربيّ لتحلّ محلّها صناعة التّفاهة والرّداءة في أحيان متعددة، وتغييب القِيم الإنسانيّة، وبالتالي الانخراط الواعي في زمن انعدام القيمة الحقيقيّة وغياب الإبداع

وقد سقط الإعلام العربيّ في هوّة عميقة أحدثَتْها الصدمة الحضاريّة المباغتة نتيجة العَولمة وهيمنة الغزو الثّقافيّ، والتّبعيّة، واستعمار الهوّيّات وتَفتيتِها، وتحدّيات المتاهات الرّقميّة، والمنافسة في تغليب السطحية وصناعة نجومِها، وإنتاج المحتوى الهابط، والتدفّق السّريع والمتوحّش للمعلومات وتنوّع مصادرها، ولعبة "الرّايتينغ" التي تُعلي من شأن الرّداءة في مقابل المحتوى الثقافي ذي القيمة، وما أتاح للإعلام العربيّ التنكر سريعًا لإرثٍ ثقافيّ هائل، وأغرقَه في شَتات معرفيّ يؤدّي تَناميه إلى إخراجه من المنظومةِ الزّمنيّة الحضاريّة.

ليست ثمّة محاولات جديّة للإفلات من مصيدة الاستعمار الثقافيّ الحديث على الرّغم من بعض المبادرات الشّجاعة - وهي ليست كثيرة

سقط الإعلام العربيّ في هوّة عميقة أحدثَتْها الصدمة الحضاريّة المباغتة نتيجة العَولمة وهيمنة الغزو الثّقافيّ، والتّبعيّة، واستعمار الهوّيّات وتَفتيتِها، وتحدّيات المتاهات الرّقميّة، والمنافسة في تغليب السطحية وصناعة نجومِها

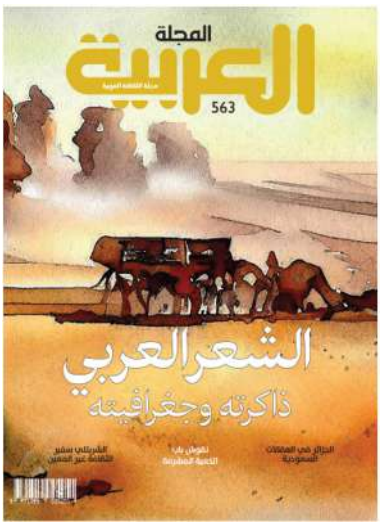

- عند بعض الإعلام الذي يرنو إلى حداثةٍ أصيلة لا تقطع مع الماضي ولا تنغمس في مستنقعات الحاضر، ونجد مثل هذه المحاولات عند بعض الحُرصاء على الصّورة العربيّة للثّقافة، لكنّها تبقى خجولةً نظرًا للمترتّبات الكبيرة عليها، والتي بإمكانها أن تعزلها عن المشهد.

كل هذه التأثيرات المستجدّة أرختْ بثقلها على الإعلام الثّقافيّ العربيّ، وجعلته يسجّل تراجعاً ملحوظاً وكبيراً في محتواه وأسلوبه، فمع انحسار العمل الأدبيّ، وغياب النّقد والفكر النّقديّ، خَف بريق الثّقافة في البرامج الإعلاميّة إلى حدوده الدّنيا، وباتت معظم البرامج الرّاهنة -على نُدرتها- "برامج إعلاميّة تثقيفيّة، وهذا ليس إعلامًا ثقافيًّا هادفًا وداعمًا لثقافة الإنسان وشموليّتها. بالإضافة إلى نقص التّمويل والدّعم الحكوميّ، فالكثير من وسائل الإعلام الثّقافي تعاني شحّ التّمويل، ممّا يؤثّر في جودة البرامج الثّقافيّة المقدّمة، ويؤدّي إلى ضعفٍ في إنتاج محتوى جذّاب وفعّال

ويضاف إلى ذلك التّركيز على الأخبار السّريعة والتّرفيه، وغالبًا ما تركّز وسائل الإعلام على الأخبار العاجلة والمحتوى التّرفيهيّ لجذب المشاهدين،

"خَف بريق الثّقافة في البرامج الإعلاميّة إلى حدوده الدّنيا، وباتت معظم البرامج الرّاهنة -على نُدرتها- "برامج إعلاميّة تثقيفيّة، وهذا ليس إعلامًا ثقافيًّا هادفًا وداعمًا لثقافة الإنسان وشموليّتها

ممّا يترك المحتوى الثّقافي في الخلف. هذا الاتجاه يمكن أن يؤدّي إلى تهميش الثّقافة والمعرفة

ومن الأسباب الأخرى غياب التّعاون الثّقافيّ، فالتّعاون بين وسائل الإعلام والمؤسّسات الثقافيّة والتعليميّة يمكن أن يوفّر موارد إضافيّة ويعزّز الجودة، وغيابه يحدّ من الفرص لنشر المحتوى الثّقافي بفعاليّة.

وكذلك نقص الكفاءات والكوادر المؤهّلة والمتخصّصة، وغياب الخطط الاستراتيجيّة والرؤية الواضحة، وتأثّر الإعلام بالسّياسات الحكوميّة والضّغوط السياسيّة، وتأثير الإعلام الغربيّ والهيمنة الثّقافيّة، وغياب البرامج الثقافيّة. والسؤال هو: هل بإمكان الإعلام الثقافي تجنب الإخفاق؟

الإخفاق ليس قدرًا، وكذلك النّجاح، فبإمكاننا جميعاً إعادة ترتيب الأولويات، وتصويب البوصلة، إنّما الصّعود من الهوّة يحتاج إلى تضافر القوى لمواجهة نفوذ الزّمن الحديث وسلطته المطلقة التي تظلّل الكوكب وتُطبِق على محاولات النّجاة. وهذه المحاولات تبدأ بالتفكير في كيفيّة تحقيق التّوازن بين الإعلام والثّقافة في مواجهة التّحديات المعاصرة، وذلك عبر ابتكار استراتيجيّات إعلاميّة حديثة من شأنها النّهوض بقطاع حيويّ ترتكز عليه هويّة شعوب ومستقبله، ومواكبةً للاستثمار في الثّقافة الذي يرتكز عليه الاستثمار الحديث في العالم، واقتصاد المعرفة الذي يحتلّ مراكز متقدّمة في النّاتج المحلّي العالميّ. ومن أبرز نقاطها

- زيادة الاستثمار في المحتوى الثقافيّ والتعليميّ.
- تعزيز الشّراكات بين وسائل الإعلام والمؤسّسات الثّقافيّة والتعليميّة.
- استخدام التّكنولوجيا والوسائط الرقميّة لنشر الثّقافة بشكل أوسع.

الإخفاق ليس قدرًا، وكذلك النّجاح، فبإمكاننا جميعاً إعادة ترتيب الأولويات، وتصويب البوصلة، إنّما الصّعود من الهوّة يحتاج إلى تضافر القوى لمواجهة نفوذ الزّمن الحديث وسلطته المطلقة التي تظلّل الكوكب وتُطبِق على محاولات النّجاة

- أهمّية التّفاعل مع الجمهور، وتشجيع المشاركة المجتمعيّة في المحتوى الثّقافي.
- تعزيز التّعليم والتّدريب في مجال الإعلام الثقافيّ.
- تطوير سياسات إعلاميّة تعزّز الثّقافة والهويّة العربيّتين.
- تشجيع التّعاون بين الدول العربيّة لتبادل الخبرات والموارد.
- تقديم برامج ثقافيّة تفاعليّة وجاذبة.
- دعم المثقّفين وتقديمهم للجمهور.
- إنشاء منصّات إلكترونيّة لترويج الثّقافة العربيّة.
- تقديم دعم ماليّ ولوجستيّ للمؤسّسات الثّقافية.
- تعزيز الشراكات مع القطاع الخاص والمنظّمات الدولية.
- تعزيز الاستقلاليّة والتحرّر من الضغوط السّياسية.
- التّركيز على القيم الثقافيّة والتعليميّة.

وفي ظلّ التحدّيات الكبيرة التي تواجه الإعلام الثّقافيّ العربيّ، يتوجّب على الإعلاميّين وصنّاع القرار العمل بجدّيّة لتحقيق توازن بين الحفاظ على الهويّة الثّقافية والانفتاح على العالم، ما يتطلّب رؤية استراتيجيّة واضحة وتعاوناً مستمراً بين مختلف الجهات الفاعلة بالعمل المشترك والدّعم المتواصل ما يمكّن الإعلام العربيّ للعودة إلى تأدية دوره التّاريخيّ في تعزيز الثّقافة والهويّة في زمن الشّتات المعرفيّ

تطلّب رؤية استراتيجيّة واضحة وتعاوناً مستمراً بين مختلف الجهات الفاعلة بالعمل المشترك والدّعم المتواصل ما يمكّن الإعلام العربيّ للعودة إلى تأدية دوره التّاريخيّ في تعزيز الثّقافة والهويّة في زمن الشّتات المعرفيّ

مصادر الصور:

1. https://aawsat.com/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D9%88%D9%81%D9%86%D9%88%D9%86/4318936-%D9%84%D9%8A%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B6%D9%85-%D9%88%D8%A5%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%B3-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%B4%D8%A8%D9%83%D8%A9-%D8%B1%D8%BA%D8%A8%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%88%D8%AF-%D9%82%D8%A7%D8%A8%D9%84%D9%87%D8%A7-%D8%A8%D8%AD%D8%AB%D9%87-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B2%D9%88%D8%B4%D9%8A-%D8%B9%D9%86-%D9%85%D8%B5%D8%AF%D8%B1
2. https://www.akhbaralyawm.com/news/70039
3. https://christianarabfigures.com/%D9%85%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D9%86%D8%B9%D9%8A%D9%85%D8%A9/
4. https://syriahomenews.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%87%D8%AC%D8%B1%D9%8A-%D8%A5%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A7-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D9%85%D8%A-7%D8%B6%D9%8A/
5. https://aleph-lam.com/2020/07/04/%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D9%82%D9%84-%D9%81%D9%8A-%D8%B0%D9%83%D8%B1%D9%89-%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AF%D8%AA%D9%87-%D8%A7%D9%8-4%D8%AB%D8%A7%D9%85%D9%86%D8%A9-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85/
6. https://aawsat.com/home/article/1196276/%D8%A3%D9%86%D8%B3%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AC-%D8%B5%D9%8A%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%88%D9%82-%D8%A7%D9%8-4%D8%AA%D9%8A-%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D8%AE%D8%A8%D9%88
7. https://leila-arabicliterature.com/author/abbas-beydoun/
8. https://www.annahar.com/arabic/article/140621-%D8%AA%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85--%D9%86%D8%B2%D9%88%D9%89-%D8%AA%D9%83%D8%B1%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%B1-%D8%A8%D9%88%D9%84-%D8%B4%D8%A7%D9%88%D9%88%D9%84
9. https://archive.alsharekh.org/contents/8/10337
10. https://al-adab.com/volume/1953-v.01/01
11. https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/An_Naqid/AN_Naqid_1993/Issue_60/index.html
12. https://fusul.org/
13. https://www.nizwa.com/
14. https://www.arabicmagazine.net/arabic/

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

الرياض

مكتب FN11A، البرج الشمالي
مؤسسة الملك فهد الفرعي، العليا
هاتف: 2112567 ، 966-11-2031188+
البريد الإلكتروني: info@grc.net

جدة

30 شارع راية الإتحاد (19)
ص.ب 2134 جدة 21451
المملكة العربية السعودية
هاتف: 966-126511999+
فاكس: 966-126531375+
البريد الإلكتروني: info@grc.net

جنيف - سويسرا / كامبريدج - بريطانيا / بروكسل - بلجيكا

Geneva - Switzerland
Gulf Research Center
Foundation
Avenue, de France 23
1202 Geneva switzerland
Fax: +41227162730
Email: info@grc.net

Cambridge - England
Gulf Research Center
Cambridge University of
Cambridge, Sidgwick
Avenue,Cambridge
CB3 9DA, UK
Tel: +760758-1223-44
Fax: +335110-1223-44

Brussels - Belgium
Coming Soon